

مع روائع أدب الغرب

ناقوس القرية

LA CLOCHE DU VILLAGE

لداعر الحب والجمال : ألفونس دي لامرتين

الحياة : موجة في خضم تاورها ، صبرها الشهد ، كأس المجد ، تملأ بالعبرات .
« لامرتين »كالزفرات تملو خفقات الناقوس الخاشع المتندة . الأحرار
تمسكها . الوديان تبدها . يد الصغير ، توازن كأسه ، وتفرغ
نغمات الأرض العلوية ، في نسيم الليل المدلهم .
رجف من أصواته العالية ، جزع من خفقاته المتوالية .
البلبل يطير تاركاً بيته المضطرب . مياه الغدير المتوجة ، تجنى
الأزهار البانعة من جوانبه . أرملة القرية ، تركع لصدى نغماته
ترك خيط مغزها لترسل الرحمات للموتى .يوقظ في قلبي ، غناء هذا البرج الرنان ...
لاسرور النهار الذي انتهى ،
ولا يؤس اليوم الذي انقضى ،ولا صور الماضي الفتي ، والذكريات الغنية ، التي تهدمت
في هذه الطرقات بين الأنوار الذابلة .لأنومي الهادي في ظلال أغصان الدلب الندية ،
ولا أول نسمة في حياتي ،ولا صوت أقدامى التائهة ، فوق هذه الذروات العالية ،
ولا السرور العظيم تحمله إلى موجاتك يانسيم الصبا ،
المثقل بالروائح العطرة التي لا تنضب .لاذكرى الجواد الواقف في المرح وقد لوى عنقه
الحريزى على يدى المدرية ، وزج صفائر عنقه ، بشعرات
رأسى الشقراء ، والأرض ترن تحت سنابكه القوية كالسندان ،
يننا ردفه يحملنى ، وزبد شذقيه يكسو فضاء ناصعة حشائش
الوادي .

لا الحب نفسه ...

الحب ، الفجر الأول في الحياة .

حيث شهور الربيع تجري ماء الحياة في نسخ النبات ،
فتزهر العقول وتخضر الأحرار .في الظلال أصوات العذارى الحاملات الجرار لملثها من
الينبوع ، تصل لسمعى وبئدة ، فتدب في جسدى الرعشة
ولا أنت ...

أنت التي أبكيك أبداً ،

الفورة الأولى لدمى ،

صوت الفؤاد الذى يفنى ، ويوقظ في روحي الدمدمة
السحرية ، معطرة بالعنبر ، فتتثر في الأجواء رياح الشعر
أواه . أيها المجد ، ولا أنت ...لا الشتاء يحمل اليك دون أسف أيامى مع بقايا
الأعشاب الفارغة من الحب .ونثرات الأوراق الذابلة ، وصدى المجد الفارغ .
أعشاب الطريق ، مزروعات علوية ، تعطر الأقدام ،
ولكن جذورها لا تغرس في القلوب .لأ كاليل الأعراس ، يقطفون زهورها في المساء ، فيسممها
الحقد ، ويذبلها الحسد .ولا ما يهب الحياة نشوة ، تاج المجد المحطم تحت يدي .
الزهرات المعارة ، لا تمسكها ساق ، تذبل وتجف ، ثم
تقع من فوق الحيين

هو ذاك اليوم .

أصواتك ممزجة بزفرات امرأه ، مخضلة بالعبرات ، مترعة
بالأس ، رنت في أرجاء الوادى ، تبكى نعشين مراً ، يجللها
الحزن ، ويسبل عليهما الألم رداه ،في قبر واحد ، دُفنت أرواح ثلاثة ونسيت على حافة
اللحد .من الفجر حتى الليل ، من الليل حتى الفجر ، تذرف الدمع
أيها الناقوس . كما أذرفه . تجمع بين قلبينا زفرة محرقة . الأهوية
والسما تزدن نواحك ، كما لو فقد كل كوكب أمه ، وكل
نسيم ولده .من ذلك اليوم رنانك المقدسة ارتسمت في ذاكرتى
المفجعة . وامتزجت بكأس آلامى المترعة . اختلطت زفراتك
بأصوات قلبي ، وتردد صداها في أنحائه . معدنك الرنان المغفوس
في اللهب يماثلنى عند ما يبكى ، هو قطعة من روحي ، يقع
عليها ملاك نغماتك .

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

في بلاد المدينة :

ذهبت بعيداً طائراً في أجواء المستقبل فارتعشت وذعرت
عند ما نظرت ما حولي فما وجدت من معاصر لي غير الزمان .
وليت الأدبار مسرعا حتى وصلت إليكم ، يا رجال اليوم ، ونزلت
بينكم في بلاد المدينة ، فألقيت عليكم أول نظراتي بصفاء نية
لأنني جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ما أهاب بي إلى الضحك .
بالرغم من ارتياحي ، فإن عيني مارأت من قبل مثل هذه الخطوط
والألوان .

ذهبت في ضحكى وقد ارتعش قلبي واصططكت رجلاي
فقلت في نفسي (لعل هذه مصانع آنية المواد الملوثة) .

لقد برزتم أمامي يا رجال اليوم ، وعلى وجوهكم وأعضائكم
من الألوان عشرات الأنواع ، وحوالكم عشرات المرايا
تعكس تموجات ألوانكم ، والحق أنكم لا تستطيعون أن
تجدوا ما تقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، يا رجال
اليوم ، فمن له أن يعرف من أتم ؟

لقد حفر الماضي في وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً
جديدة ، لذلك خفيت حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .
ولو كان لأحد أن يفحص الأحشاء فهل يوسعكم أن تثبتوا
أن لكم أحشاء وما أنتم إلا جبلة هباب ألوان وقطع أوراق
ألصقت إصافاً . وهذه جميع الأزمنة وجميع الشعوب تتراحم
مرسلة نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن
تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فإذا ما نزعتم أقنعتكم
وألقيتم أحوالكم ومسحت ألوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى
منكم إلا شبح ينصب مفرعة للطيور .

والحق ، ما أنا إلا طائر مروع ، لأنني رأيتم يوماً عراة
لا تستركم ألوانكم فاستولى الذعر على إذ انتصبت أمامي هياكل

أرقد لغفلتك ، وانهمض ليقظتك . صوت نيك ، صديق
تسمعه أذنأي . بين رنين الأجراس ، أفرق نعمتك . تنغمري
موجاتك . كالأجراس تعلو في جنباتها رنات بعوضة طائفة .
أقول لنفسي : هذه الزفرة الحزينة المبهمة ، يحملها إلى نسيم
الليل العميق ، موجة إثر موجة . أواه الأجلّي تتردد هذه
الأصوات العالية . أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر . والهواء
الجاهل في هذا السكون المحتدم يحمل إلى لهجته المؤثرة .

أقول لنفسي : صوت هذا المعدن المتردد ، قبل أن يصل إلى
قلبي ، وينغمر جنباته ويفرق قطعاته ، اهتز فوق أطلال الماضي
الراقد ، يحمل إلى من بقايا قلبه المهتمة أشياء .

حجر القبر ، حيث دفن حي ، يقرع بهذا اللحن العذب .
لا تعجب يا ولدي إذا اهتزت أفكارى لأصوات هذا
التاقوس . منغم بصمته الأمين للردى . لأول رنة تختلج
تحت قلبه أقف مصغياً لما يحمله إلى الحمام

أما أنت ، مذياع الحزن البشري الذي اخترعته الأرض
لتجهر بآلامها . غن نشيد القلوب المحطمة الرائع ، فزفراتك
تهب الأحجار روحاً ، والمقل الجافة دموعاً ، والصلاة خشوعاً
أبدياً ، والقبور حزناً سرمدياً .

عند ما يحمل العمال نفسي وبقايا حطامي ، تبقى هنا روحي
تقذف حمماً المتهبة نحو السماء . الباكون ، حاشية باردة ، تسير
خليتي ، اتضع جسدي ، تحت باب حقير ، ترمي عليه أشعة الشمس .
إذا بدو رعة قرعتك لشرفي . فلا تحزن مخلوقاً بزفراتك
المتصاعدة . لا تنشر الدموع في الأفق . الخمس جرس العيد
واقرع فوق لحدي ، برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبة
غرد كالغندليب لحناً خالداً ، يرتفع من منزلك ، والوسط
الأسمر يوجه نحو فجر النهار خففته المخزنة .
غن أنشودتك المترددة في أعماق السموات تظني .
شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة .

إليك

أقرع قبل اليوم ، دق رويدا الساعة . صديق في منزل
الحقير ، يحضر ليضيء في هذا القلب المهدم ، الحزن العميم ،
ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلاً
كفني .
حسين تفكجي